الباب الخامس

اصل الحضارة السودانية

اولا : اصل مملكة نبته

ان البحث فى اصل الأسرة التى حكمت مصر والسودان القديم من حوالى منتصف القرن الثامن حتى حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (٧٥١ ـ ٦٥٦ ق٠م) ليزداد أهمية عندما نعلم أن تلك المرحلة تمثل جزءا هاما من تاريخ السودان القديم ، ولأنه يلقى الضوء ايضا على فترة غامضة من تاريخ مصر ، كما يتناول العلاقات الانسانية بين شطرى الوادى فى مرحلة بلغت الأحداث التاريخية فى وادى النيل ذروتها ٠

ولقد ظل موضوع البحث فى اصل تلك الأسرة مثارا للافتراضات ، بعيدا كل البعد عن البحث الشامل ، شائكا فى نظر المتخصصين نظرا لقلة المادة العلمية بين أيدينا ٠ وعندما تناولت هذا الموضوع لم أجد أمامى الا بعض نتائج أعمال الحفر لدنهام وريزنر فى المواقع الأثرية المعروفة بأسماء الكرو ونورى ومروى والبركل ، وكذلك حفائر مكارم فى كوة ثم حفائر ريزنر فى كرمة ، وحفائر كل من فيرث وريزنر وشتيندورف ويونكر فى منطقة النوبة السفلى ، هذا بالاضافة الى الآراء المتناثرة فى بعض المؤلفات التى حاول أصحابها أن يدلوا بارائهم حول الموضوع ٠ وتتلخص تلك الآراء حول هذا الموضوع فيما يلى :

١ ـ الرأى القائل بأن أصل تلك الأسرة مصرى ٠

٢ ـ النظرية التى ترجع ذلك البيت الحاكم الى اصل ليبى ٠

٣ ـ النظرية القائلة بأن البيت الحاكم فى نبته والمؤسس للأسرة الخامسة والعشرين فيما بعد من أصل محلى اى من اهل المنطقة ٠

أولا : ان النظرة الفاحصة للأسانيد التى حاولت النظرية الأولى القائلة بالأصل المصرى أن تتخذ منها دليلا ، لتوضح أنها لم تتخط مرحلة الفروض ٠ فالقائلون بها يعتمدون على الطابع المصرى لحضارة تلك الأسرة ، وعلى تمسك افرادها بعقيدة آمون وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة فى ذلك الوقت ٠ ثم أنهم يشيرون الى مدى تدين ملوكهم ، وأخيرا فهم يرون فى اسم بعنخى عاهل الأسرة (٧٥١ ـ ٧١٦ ق٠م) اسما مصريا صميما سبق استعماله أيام الأسرة الحادية والعشرين (أسرة الكهنة فى طيبة) ، حملة بعنخى بن حريحور (١)، بل انهم يعتبرون مؤسسى هذه الأسرة من سلالة أسرة الكهنة فى طيبة ، التى فر بعض أفرادها الى نبته خوفا من نتائج الهزيمة على أيدى الأمراء الليبيين المنتصرين ، الذين ملكوا زمام مصر حينذاك ، وحكموها طوال الفترة ما بين سقوط الأسرة الحادية والعشرين (أسرة الكهنة) وقيام الأسرة الخامسة والعشرين ٠

والمتتبع لتاريخ العلاقات الحضارية بين السودان ومصر منذ فجر التاريخ حتى تلك المرحلة من مراحل التطور ليدرك تماما أن الطابع المصرى لأصحاب ذلك البيت لابد أن يرجع الى طول استيطان الحضارة المصرية فى السودان منذ فجر التاريخ ، بما فى ذلك استقرار أعداد كبيرة من المصريين فى النوبة ليعملوا ضمن أفراد الادارة المصرية ، أو فى القوات المرابطة ، كما أن انتشار الكهنة المصريين فى معابد كوش حتى منطقة الشلال الرابع كان له أثر كبير فى نشر الثقافة والعقائد المصرية ٠

أما فيما يتعلق بظهور الأسماء المصرية بين أصحاب البيت المالك فى نبته ، فان ذلك لم يتعد اسمى الملكين بعنخى وحرسيوتف Horsiyotef (٤٠٤ ـ ٣٦٩ ق٠م) ، هذا اذا استثنينا الأسماء المصرية التى ظهر بعضها بين أبناء ملوك

---

(١) قارن ص ٩٥ من هذا الكتاب ٠

ذلك البيت مثل حور ـ ام ـ اخت بن الملك شباكو ويسمى أيضا حور ماخيس(٢) (حوالى ٧٠٧ ـ ٦٩٦ ق٠م) والذى حمل ابنه اسما مصريا أيضا ، كذلك فان طهارقه قد أعطى اثنين من أبنائه اسمين مصريين وهما « نيسونحرت » (وهو «اوسناكورو» فى الحوليات الآشورية للملك اسرحدون) و «نيسوشو ـ تفنوت» كما حمل بعض ملكات الأسرة وأميرتها أسماء مصرية مثل « أمنرديس » عطية آمون ابنة الملك كاشتا (المتوفى عام ٧٥١ ق٠م٠) ، واحدى زوجات الملك بعنخى وكانت تدعى « نفرو كاكاشتا » ، والملكة « تاباك ـ نمون » ابنة الملك بعنخى ، ثم احدى بنات الملك « شباكو » ، وأخيرا زوجة الملك أسبلتا (٥٩٢ ـ ٥٦٨ ق٠م٠) ٠ هذا بالاضافة الى بعض الأسماء المصرية حملها نفر من الموظفين والكهنة ٠ ذلك هو شأن الأسماء المصرية بين أفراد العائلة المالكة فى نبته ٠

واما بخصوص دور كهنة المعبود آمون ، فليس هناك جدال فى النشاط الكبير الذى قاموا به خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين ، فباسمه اقيمت المعابد فى شتى أنحاء النوبة ، وتحت لوائه استطاع ملوكها السيطرة على شمال الوادى بسهولة ، ولم ينظر اليهم على انهم قوم غرباء ، بل كانوا هم من أنقذوا الوادى وحفظوا تقاليد البلاد وعقائدها المقدسة ٠ كما لا يستبعد أن يكون فريق من الكهنة قد هرب فعلا الى نبته بسبب هجوم الليبيين ٠ كل ذلك يمكن اعتباره من العوامل المساعدة للبيت المالك فى نبتة للوصول الى العرش٠ أما المبالغة فى دور كهنة آمون فانها تؤدى بلا شك الى نتائج خاطئة ٠

ثانيا : والقائلون بالأصل الليبى للبيت الحاكم فى نبته يفترضون : أن فرعا من الليبيين الجنوبيين (الطمياح) اتجه خلال الهجرة الكبرى للقبائل الليبية الشمالية نحو الدلتا ومصر الوسطى ، وفى نفس الوقت تقريبا ، متخذا طريق الواحات أو طريق درب الأربعين جنوبا حتى وصل الى دنقله ٠ وحدث ذلك فى زمن حكم الملك الليبى شيشنق الأول فى شمال الوادى (٩٢٠ ـ ٨٦٠ ق٠م) ٠ واعتبرها موطنا جديدا لعشيرته ٠ هنالك استطاع رئيس

---

(٢) أنظر اللوحتين رقم ٤ ، ٥ ، لاحظ القلادة التى على شكل علامة الحياة ـ غنخ ـ وهل لها صلة بوجود هذه العلامة داخل اسم بعض الملوك كالملك بى ـ أو بعنخى ؟ ٠

(٣) أنظر اللوحة رقم ٦ ٠

الأمير حورماخيس ابن الملك شباكو
(المتحف المصرى)

الأمير حورماخيس

تلك القبيلة أن يجمع فى يده سلطة نائب الملك فى كوش ، وأصبح كثيره من حكام الأقاليم المصرية من الأمراء الليبيين ، يكاد يكون مستقلا عن الملك فى العاصمة ٠

وكان الموقع الجغرافى لاقليم دنقله ــ باعتباره أقرب الأقاليم الى قلب القارة الافريقية بمحاصيلها وخيراتها الوفيرة ــ يجعل منه بابا طبيعيا لمنتجات القارة ، كما سيطر ذلك الاقليم على الطريق المؤدى الى مناجم الذهب ، مما أعطى أهمية خاصة لهؤلاء الحكام الجدد الذين اتخذوا من الكرو مركز لهم ، وشرعوا فى بسط نفوذهم شمالا حتى بلغ حدود اقليم طيبة المصرى ٠

وحسب تقدير ريزنر ــ صاحب هذا الرأى ــ لابد أن تكون تلك الأحداث قد وقعت خلال الستة الأجيال ، بين حكم الملك الليبى شيشنق الأول فى مصر ، وبين حكم الملك بعنخى عاهل الأسرة الخامسة والعشرين فى نبته (٧٥٠ ــ ٧١٦ ق٠م٠) ٠ ويرجح ريزنر أن صاحب أقدم مقابر فى الكرو ــ والتى تسمها الى ستة أقسام على امتداد ستة أجيال متتالية ــ قد عاش فى زمن الملك شيشنق الأول ٠ ويختتم روايته فيقول ان أقدم مقابر الكرو هى مقابر أسلاف الملك بعنخى ، ويعتبرهم جميعا من الأمراء الليبيين الجنوبيين (الطمياح)[(٤) ٠

ويعتمد ريزنر فى تأييد نظريته على بعض نتائج الحفر الذى أجراه فى الكرو :

١ ــ فهو قد عثر فى أربع من أقدم المقابر فى الكرو على رؤوس سهام هى فى رأيه ذات طابع ليبى ٠

٢ ــ وخلال حفائره هناك عثر على لوحة مكتوبة (أعطاها رقم ٥٣)

---

(٤) فى زمن الدولة القديمة المصرية كان سكان المنطقة الغربية مدعون التحنو ٠ ومنذ زمن الأسرة السادسة المصرية ظهر عنصر جديد يحمل أسم التمحو ٠ وفى نهاية الأسرة الثامنة عشر ظهرت قبائل جديدة فى نفس المنطقة تدعى الماشواش ربما كانوا رعاة أبقار ٠ وفى زمن الملك رمسيس الثانى وابنه مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشر ظهرت قبائل تدعى اللبو ومنها اشتق الاغريق اسم ليبيا ٠

خاصة بزوجة الملك بعنخى المسماة تابيرى (٥) وعليها قرأ ريزنر لقبا للملكة معناه « سيدة الطمياح » ، وعلى أساس تلك القراءة اطمأن الى انه اكتشف دليلا قاطعا على أن الأسرة الملكية فى نبته تنتمى الى الليبيين الجنوبيين اى الى الطمياح ، ذلك لأن الملكة المذكورة أبنة الرا Alare أقدم رئيس لأسرة الملك بعنخى ، كما أن الرا هذا كان أخا للملك كاشتا والد الملك بعنخى ٠

٣ ــ ويدعى ريزنر كذلك أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة فى نبته ليبية الأصل ، وأنها تشبه فى بنائها مثيلاتها من الأسماء الليبية ٠

٤ ــ وعلى قطعة مكسورة من اناء من الألبستر (نورى رقم ٣٨) عثر عليها ريزنر فى منطقة الحفائر فى نورى (وهى احدى اماكن الدفن الملكية التى كانت تتبع العاصمة نبته) قرأ ريزنر ما يلى : « ٠٠٠ (٢) الرئيس الأعلى للجيش (٣) باشد باست Rashed ebast المرحوم (٤) ابن سيد الأرضين « ششلقن ــ موى ــ آمرنه » (٦) ٠ وعلى هذا الأساس قرر ريزنر صاحب الرأى الليبى أن باشد باست هذا ابن الملك الليبى شيشنق الثانى أو الثالث لابد وأنه هو نفسه والد كاشتا ملك نبته ، وبناء على ذلك أرجع ريزنر أصل البيت الحاكم فى نبته مباشرة الى الأصل الليبى للبيت الحاكم فى مصر فى الفترة بين ٩٥٠ ــ ٧١٥ ق٠م تقريبا ٠

وقد تبنى الكثير من المهتمين بالدراسات المصرية القديمة الرأى القائل بالأصل الليبى ، منهم مكادم وسميث ، وكاتزنلسن ، وادوارد وسودر برج وجوتيه ٠ ولو أن منهم من أثار بعض التحفظات ، فى حين عاد البعض مثل كاتزنلسن ورفض هذا الرأى ٠

وفيما يلى تحليل للنظرية الليبية :

فيما يختص برؤوس السهام من حجر الصوان وحجر الكوارتز ، ذات الشكل المجنح والتى عثر عليها فى أربع من أقدم مقابر الكرو ، والتى برئ

---

(٥) انظر اللوحة رقم ٧ ٠

(٦) Reisner, JEA 6, p. 54.

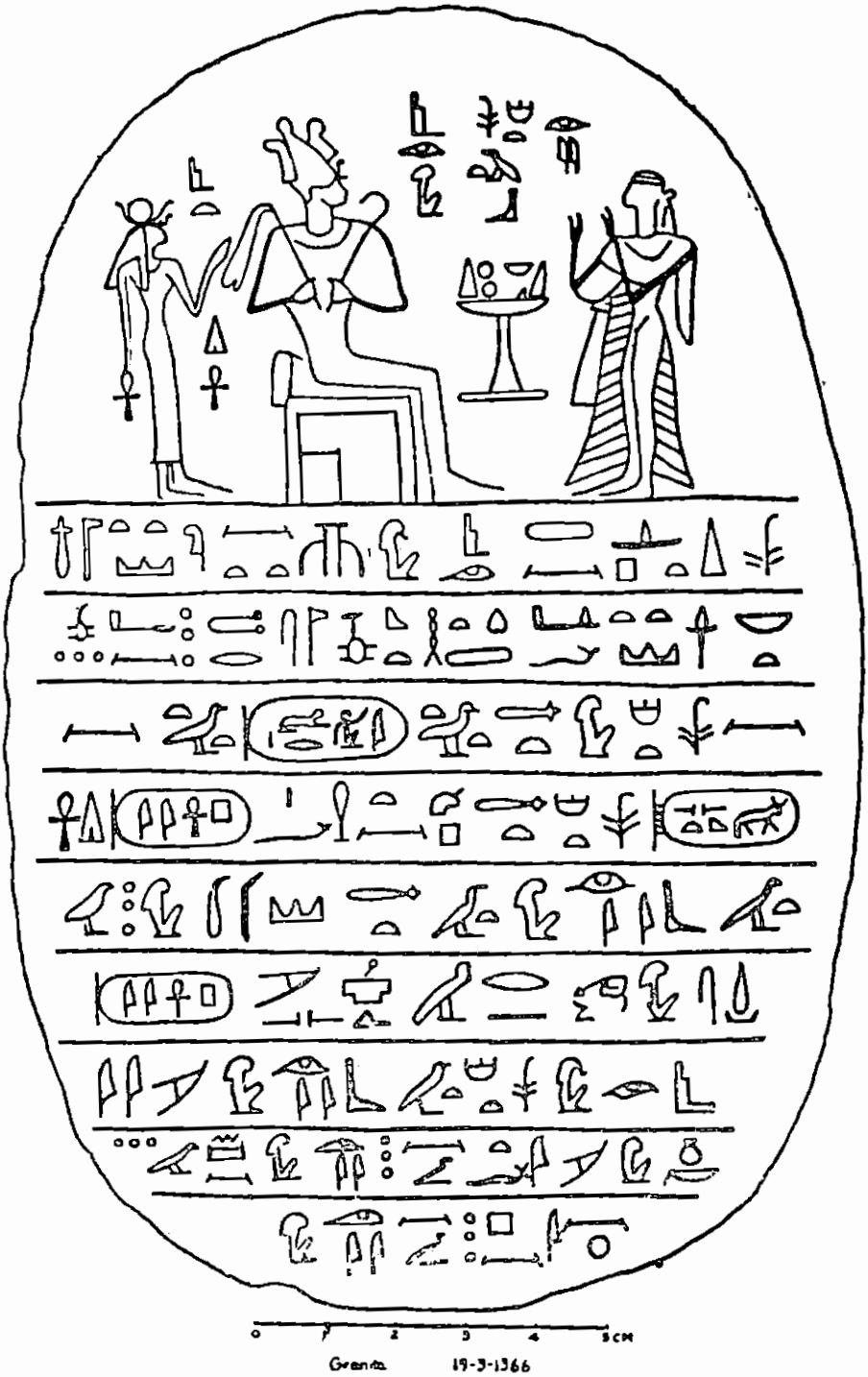

لوحة الملكة تابيبرى – زوجة بعنخى

تقديم القرابين للمعبود أوزيريس

ريزنر أنها ليبية الأصل نلاحظ أنه ذكر أيضا نبأ العثور على رؤوس سهام فى نفس تلك المقابر وفى مقابر أخرى تليها ، شكلها نصف دائرى واعتبرها من أصل محلى • وبعمل احصائية لعدد السهام لكل من النوعين السابقين يتضح أن النوع الليبى عدده ٣٢ بينما النوع المحلى يبلغ ٣٩ سهما ، أى أن عدد رؤوس السهام المحلية أكثر من عدد رؤوس السهام ذات الطابع الليبى • كما أن ذلك النوع من السهام المجنحة كان منتشرا فى كثير من أرجاء وادى النيل منذ عصور ما قبل التاريخ ، حيث عثر على نماذج لها فى كل من الفيوم والبدارى وحضارة الخرطوم (٧) • وبهذا لا يمكن اعتبار رؤوس السهام دليلا تعتمد عليه النظرية القائلة بالأصل الليبى للبيت الحاكم فى نبته •

وفيما يتعلق بلقب الملكة تابيرى الزوجة الأولى للملك بعنخى ، والذى قرأه ريزنر « كبيرة الطمياح » • فان المدقق يلاحظ وجود خطأ فى قراءة اللقب نتيجة لطريقة الكتابة بالمقاطع التى اتبعها المصريون فى كثير من الأحيان • وبمراجعة الكتابات المختلفة التى وردت فى كثير من النصوص المصرية الأخرى فى القاموس الكبير للغة المصرية ببرلين ، والخاصة بكلمة الطمياح ، يتضح أن قراءة ريزنر لتلك الكلمة بعيدة عن الصواب ، والصحيح أن تكون القراءة « خاستيو » ومعناها « البلاد الأجنبية » فتكون الترجمة الصحيحة للقب الملكة تابيرى : « سيدة (أو كبيرة) البلاد الأجنبية » وعلى هذا لا يمكن الاعتماد على القراءة الخاطئة للقب الملكة تابيرى ثم القول بأن سلالة الأسرة من أصل ليبى •

٣ ــ ثم نأتى لمناقشة الادعاء القائل بأن أسماء أفراد أسرة نبته ليبية : يرى جرفث أن المقطع « ــ قه » الموجود فى اسم الملك الليبى شيشنق ماهو الا صوره أخرى للمقطع « ــ قه » الموجود فى كثير من الأسماء الملكية لأسرة نبته مثل طهارقه وامطالقه وامانى سطبارقه وغيرها • ويضيف مكادم الى ذلك نبعطى الأمثلة على صحة هذا الرأى :

---

(٧) Arkell, Early Khartoum p. 76 and p. 50; History, p. 33-55.

(أ) ان اسم شيشنق قد عثر عليه مرة مكتوبا • شاشاقا (٨) •

(ب) ان اسم طهارقه قد ورد مكتوبا : طهارقا وطهرقا (٩) •

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا المقطع الأخير « ـ قه » الذى ورد فى العديد من أسماء الملوك والملكات فى مملكة نبته : طهارقه ، أمطالقه ، أما نسطبارقه (أمانى ـ سطبارقه) سيعسبيقه ، طابرقه ، ناهيرته (؟) هو نفس المقطع « ـ قة » الذى استمر ظهوره فيما بعد فى نهاية الأسماء المروية سواء الملكية منها أو الخاصة بالأفراد ، والذى ترجمه البعض على أنه مقابل لكلمة المبجل أو المحترم • أى أن المقطع المذكور عبارة عن كلمة مستقلة وكانت غالباً ما تضاف الى الاسم ، ولعلها كانت تقرأ معه كما يتضح من كتابتها بالحروف الهيروغليفية ضمن أسماء ملوك أسرة نبتة مثل طهارقه وغيره •

ولذلك لا ينبغى أن نعتمد على ذلك التشابه النادر الحدوث فى كتابة نهاية اسم الملك الليبى شيشنق وبين نهاية اسم الملك طهارقه ، لنبرهن على أن الأسماء المروية الخاصة بملوك نبته من أصل ليبى ، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن اللغة المروية التى ازدهرت فيما بعد تختلف لختلافاً جوهريا عن اللغة الليبية، وأن كثيرا من أسماء ملوك نبته يمكن تفسيره على ضوء معرفتنا باللغة المروية (١٠) •

٤ ـ وأخيرا تبدو ضالة السند الأخير الذى اتخذه ريزنر ليؤكد نظريته الخاصة بالأصل الليبى للبيت الحاكم فى نبته ، ونقصد به النص الذى عثر عليه فى نورى ، والذى يتحدث عن باشدباست بن شيشنق • ذلك النص المغتصب الذى اتخذ ريزنر من مجرد وجوده فى مدافن الأسرة الخامسة والعشرين فى نورى عند الشلال الرابع دليلا على وجود علاقة قرابة بين الأسرة الليبية فى شمال مصر وأسرة نبته فى شمال السودان •

---

(٨) Gauthier, L. R. III, 314-15.

(٩) Gauthier, L. R. IV, 37.

(١٠) أنظر ثالثا من هذا الباب « اللغة المروية لغة ملوك نبته » • ص ١٢٣ وما بعدها •

وفى رأينا ، أن وجود هذا النص الذى حمله ريزنر أكثر مما يحتمل ، فى نورى ـ وهى احدى جبانات مملكة نبته ـ قد يعنى العكس ، فلعل باشدبلست المذكور هو ابن احد ملوك الأسرة الليبية الذى يدعى شيشنق أيضا ، وأن هذا النص المكتوب على جزء من اناء قد جاء الى نورى ضمن غنيمة أحضرها معه أحد ملوك نبته من الشمال ٠

وهكذا نجد أن النظرية الليبية لم تستطع أن تصمد طويلا لاعتمادها على أدلة واهية ٠

ثالثا : النظرية التى تقول بالأصل المحلى لمملكة نبته : رغم أن الأصل السودانى لذلك البيت الحاكم منطقى ، بل انه أول ما يجب أن يتبادر الى الذهن عند الحديث عن ذلك البيت الحاكم الذى دخل مصر من الجنوب ، ثم تركها بعد حين متجها نحو الجنوب أيضا ليكون دولة مستقلة ظلت مزدهرة زمنا طويلا فى شمال السودان ، الا أننا نرى هذا الرأى قد أهمله الباحثون وانصرفوا عنه ، اما الى الرأى القائل بالأصل المصرى أو الى النظرية التى تزعم أن مؤسسى ذلك البيت من أصل ليبى ٠ ومنذ عهد قريب بدأ بعض المؤرخين ينادون بالأصل السودانى ، فمثلا نجد أن آركل عند تعرضه لهذا الموضوع فى محاولة للتدليل على الأصل السودانى ، قد اعتبر عادة الدفن على سرير ، وعادة بناء القبر المستدير التى وردت فى الكرو وفى نورى ، أدلة على الأصل السودانى حيث أن هاتين العادتين كانتا معروفتين فى النوبة منذ عهد حضارة كرمه ٠ ويضيف آركل الى ذلك عادة زواج الأخ بأخته ثم يشير الى مدى تدين عاهل الأسرة « الرا » ، يضاف الى ذلك أيضا عادة التبنى التى قال انها طابع تلك الأسرة ، وهو يعتبر كل هذه التقاليد من أصل محلى ، كل ذلك دون أن يدخل فى أية تفاصيل ٠

ولقد اخذت هذه النظرية تكتسب انصارا أمثال كانزنلسن السوفييتى ولكلان الفرنسى ، ومن قبل تردد الباحثون أمثال بدج ودريوتون وفنديه فى الأخذ بالأصل المحلى ٠

واذا ما اعتبرنا أن أصل الأسرة الخامسة والعشرين محلى ، أى من أهل

المنطقة المحيطة بنبته ، فلابد اذا من التعرض لأصل هؤلاء السكان ، أى لأصل سكان شمالى السودان فى زمن ازدهار حضارة نبته ثم حضارة مروى • أو بمعنى آخر التعرض **لأصل الحضارة المروية** •.

وقد سار بحثى فى محاولة حل المشكلة كالآتى :

١ ـ دراسة الحضارة الخاصة بالأسرة الخامسة والعشرين فى كل من السودان ومصر ، بما فى ذلك مخلفات أسلاف هذا البيت فى الكرو واستخلاص العناصر الحضارية المميزة ، واعتبارها نقطة البدء •

٢ ـ البحث فى مخلفات الحضارات القديمة فى المنطقة قبل قيام الأسرة الخامسة والعشرين عن عناصر مميزة محلية •

٣ ـ البحث فى مخلفات الحضارات التالية لزمن الأسرة الخامسة والعشرين عن عناصر مميزة محلية •

٤ ـ دراسة مقارنة للعناصر المميزة لكل تلك الحضارات التى نشأت فى المنطقة حتى العصر المروى ، والخروج بنتيجة عامة •

وقد أثبت البحث أن هناك عناصر حضارية محلية وتقاليد تربط كل تلك الحضارات بعضها البعض مما يؤكد القرابة بينها بطريقة أو بأخرى وأن حضارة الأسرة الخامسة والعشرين ليست غريبة عن المنطقة التى نشأت فيها ، بل تكون حلقة فى سلسلة الحضارات المحلية التى قامت فى النوبة وفى شمالى السودان (١١) •

وتلك العناصر الحضارية تنحصر فى :

١ ـ طريقة بناء القبر •

٢ ـ طريقة الدفن •

---

(١١) أنظر الأشكال ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

٣ ـ عادة التضحية بدفن الانسان والحيوان مع صاحب المقبرة ٠

٤ ـ انتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة بالنسبة للرجال ٠

٥ ـ يضاف الى ذلك نتائج دراسة الصورات المختلفة لأصحاب كل من حضارة نبته ومروى فى محاولة للتعرف على شكل أولئك القوم ٠

فبالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وجدنا العناصر المحلية الآتية :

(أ) شكل القبر المستدير ٠

(ب) طريقة الدفن على سرير (فى الفترة الأخيرة فقط) ٠

(جـ) انتشار عادة دفن الدواب وغيرها من الحيوانات الأليفة عند وفاة صاحبها ٠

(د) انتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة وخاصة بين الرجال ٠

فبالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وجدنا العناصر المحلية الآتية :

(أ) شكل القبر المستدير ٠

(ب) عادة الدفن على سرير ٠

(جـ) عادة دفن الحيوان ٠

(د) عادة التضحية بالأتباع ودفنهم أحياء مع صاحب المقبرة ٠

(هـ) انتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة ٠

وبالنسبة لحضارة الكرو وحضارة الأسرة الخامسة والعشرين وجدت العناصر المحلية الآتية (١٢) ٠

(أ) شكل القبر المستدير (فى المقابر العتيقة) ٠

(ب) الدفن على سرير ٠

(جـ) عادة دفن الحيوان ٠

(د) التحلى بالأقراط بالنسبة للرجال ٠

---

(١٢) أنظر الشكلين ٦ ، ٧ ٠

طرق الدفن	الثانية ١	الثانية ٢	الثالثة ٣	الثالثة ٤	الثالثة ٥	الثالثة ٦	كرمه	دولة حديثة	الكرو	الكرو + نوبة	العصر المروى
شكل المقابر فوق سطح الأرض											
	−	−	−	−	−	−	+	−	+	−	+
	−	−	+	+	+	+	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+	+
المقصورة											
	−	−	−	−	−	+	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	+
الجدار المحيط											
	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	+
أشكال غرفة الدفن											
	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	−	+	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	+

شكل رقم (٥) ــ دراسة مقارنة لأشكال المقابر وملحقاتها

العناصر المحلية	المجموعة الثالثة	كرمه	دولة حديثة	الكرو	الكرو + بورى	العصر المروى
الدفن على سرير	+	+	+	+	+	+
الصحة بالحيوان	+	+	+	−	+	+
التصحيه الآدمية	−	+	−	−	−	+
ربية الأذن	+	−	−	−	−	−
ربية الأذن	−	+	+	+	+	+
ربية الأذن	−	−	+	+	+	+

شكل رقم (٤) ـ دراسة مقارنه للعناصر المحلية فى حضارات السودان القديم ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر المروى ٠

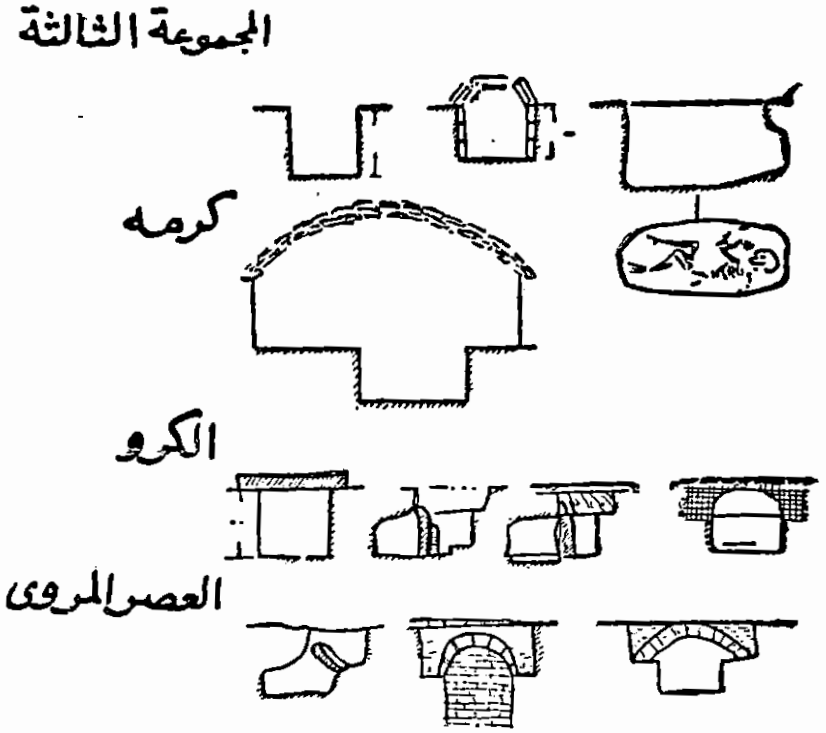

شكل رقم (٣) ـ دراسة مقارنه للأجزاء الواقعة تحت سطح الأرض والمخصصة للدفن فى كل حضارات السودان القيم : المجموعة التالية ـ كرمه ـ الكرو ـ العصر المروى .

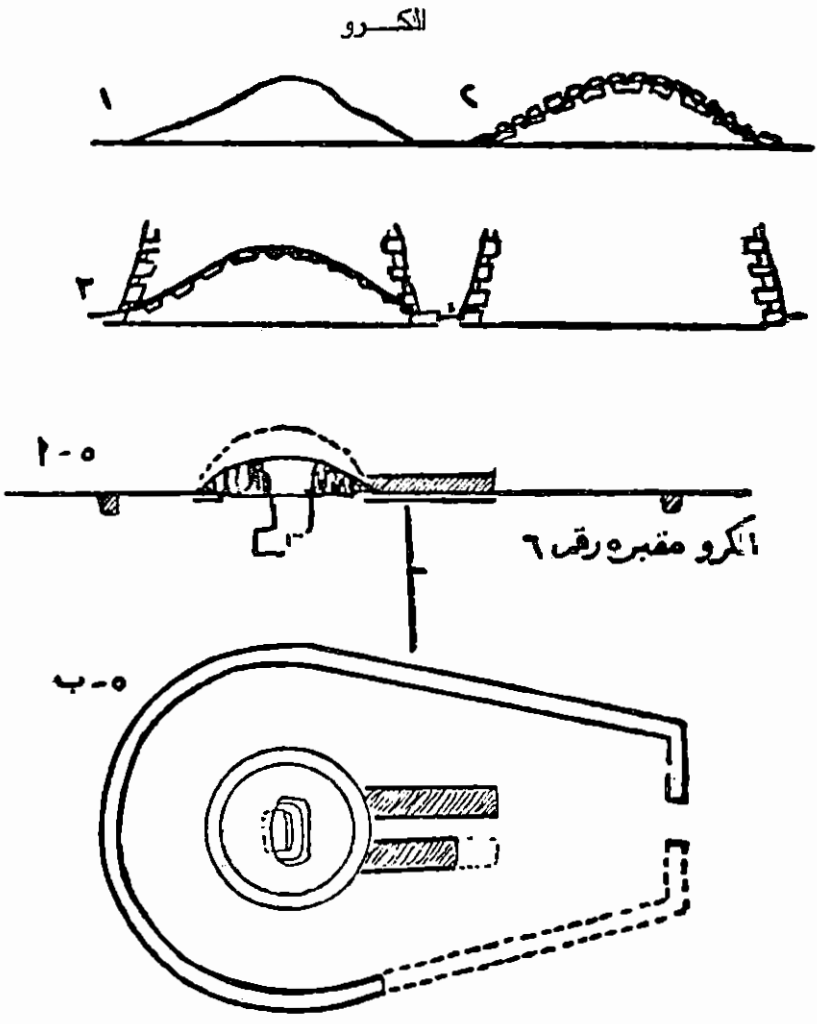

شكل رقم (٦)

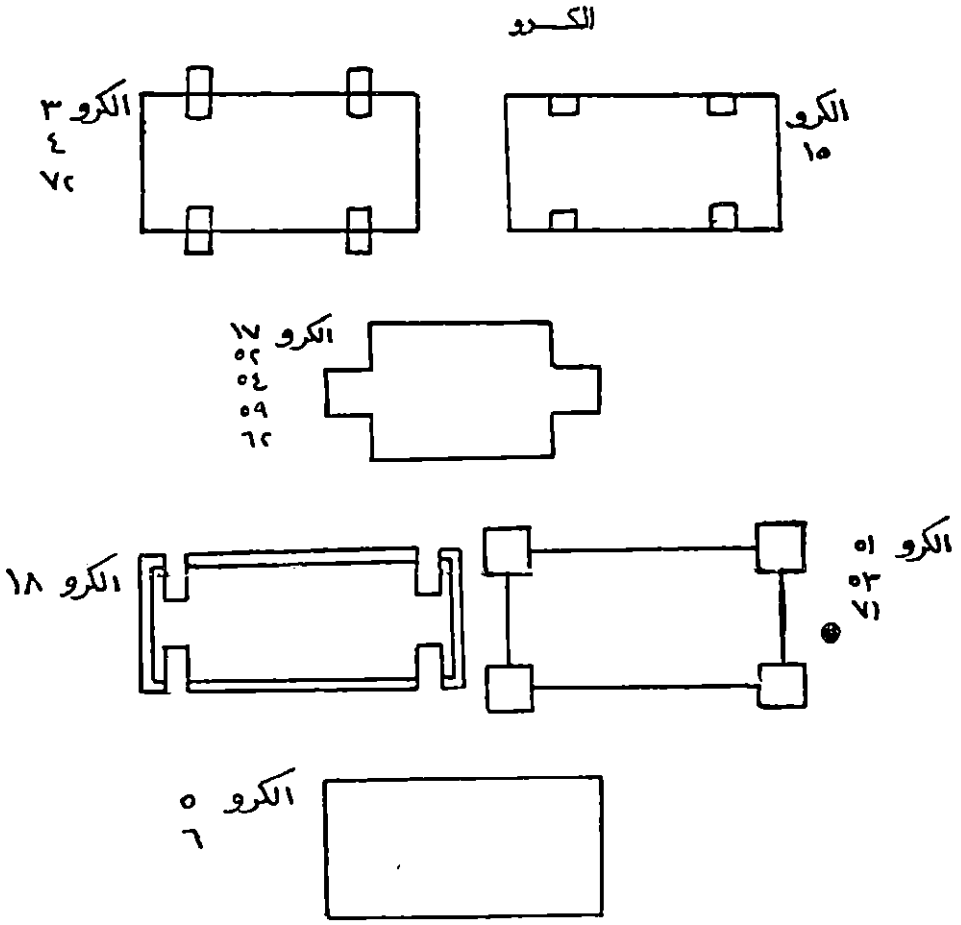

شكل رقم (٧) ـ المكان المرتفع والمخصص لوضع سرير الدفن فى مقابر افراد الأسرة الخامسة والعشرين ، ويلاحظ الفراغات المخصصة لوضع سرير الدفن .

وبالنسبة لحضارة مروى وما بعدها كانت العناصر المحلية كالآتى :

(أ) القبر المستدير (بين مقابر الأفراد) .

(ب) الدفن على سرير .

(جـ) عادة دفن الأتباع (ولو انها مازالت تحتاج الى دليل) .

(د) دفن الحيوان .

(هـ) التحلى بالأفراط المستديرة وبغيرها .

ومن دراسة تلك الحضارات يتبين لنا أن تمسك هؤلاء القوم أصحاب الأسرة الخامسة والعشرين بتقاليد عتيقة رغم قوة تيار الحضارة المصرية ، وعلى الأخص بالنسبة لتقاليد الدفن ، ان دل على شيء فانما يدل مدى تمسكهم بتقاليد آبائهم وأجدادهم . فلو فرض وكان هؤلاء القوم مصريين لما كانت بهم حاجة الى ممارسة تلك التقاليد البالية ، التى لا يتفق بعضها مع ما وصلت اليه الحضارة المصرية من رقى وخاصة فى فنى التحنيط والعمارة، وهما من أوضح معالم تلك الحضارة .

والتفسير المنطقى لبقاء تلك التقاليد المحلية طوال تلك المدة حتى زمن الأسرة الخامسة والعشرين ، رغم تأثير عناصر الحضارة المصرية المباشر على كل من أصحاب حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة ، هو أن تلك العشيرة التى خرج منها بيت الأسرة الخامسة والعشرين ربما عاشت أيام الدولة الحديثة بعيدا عن متناول الأثر القوى للحضارة المصرية ، وربما اتخذت من مروى موطنا لها . فمن المعروف أن مروى أصبحت أخيرا عاصمة الدولة المروية، وقد كانت من قبل ومنذ البداية موطنا لفرع من فروع البيت الحاكم أيام الأسرة الخامسة والعشرين . واذا صح هذا الفرض فان توسع هذا البيت يكون قد بدأ من الجنوب الى الشمال ، وبالتالى يمكن اعتبار ملوك نبته (الأسرة الخامسة والعشرين) ملوكا مرويين .

ثانيا : تعريف باللغة المروية

قبل أن ندخل فى التفاصيل ، ينبغى أن نقرر أن ملوك نبته كانوا يستعملون اللغة المصرية لغة رسمية ، كما يحتمل أنهم كانوا يتكلمون اللغة المروية فى شئون حياتهم الأخرى ، الا أن مدى معرفتهم باللغة المصرية وقواعدها بدأ يقل تدريجيا نتيجة تعذر الاتصال مع مصر بسبب خضوعها للحكم الأجنبى ٠

أما بالنسبة لملكة مروى فلا زلنا نجهل التاريخ الذى تخلى فيه ملوكها عن استعمال اللغة المصرية كلغة رسمية وانصرفوا الى لغتهم المروية ، بعد أن ابتكروا لها أبجديتين احداهما مصورة والأخرى مبسطة ، واستطاع العلماء منذ أكثر من خمسين عاما ، أن يقرأوا حروفها دون أن يفهموها ، فيما عدا بعض الكلمات المستعارة من المصرية ـ بالاضافة الى محاولات التعرف على بعض قواعد تلك اللغة ، ولكنها مازالت فى أول الطريق ٠ ولا نعرف حتى الآن الى أى مجموعة من اللغات تنتسب اللغة المروية ٠ لأنها ليست سامية ولا نوبية ولا هى تنتسب الى مجموعة اللغات الكوشية كلغة البجا ٠

وأقدم النصوص المدونة باللغة المروية ـ والتى يمكن تاريخها ـ ترجع الى زمن الملكة شنكدلخيته Shanakdakhete (حوالى سنة ١٧٠ ـ ١٦٠ ق٠م) أى الى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ٠ وأحدث النصوص المروية التى أمكن تاريخها ترجع الى زمن الملك تاركنوال (٨٥ ـ ١٠٣م) على بوابة المقصورة المتصلة بهرمة رقم ١٩ بالبجراوية ٠

ومن الناحية الطبوغرافية يمكن توزيع معظم النصوص المروية المعروفة على مناطق انتشار الحضارة المروية على الوجه التالى :

المصورات الصفراء : هناك عدة مخربشات عثر عليها في المجموعة الركبة ٠

البركل : تمثال لايزيس جالسة ، وعلى ظهره نص دينى يتحدث عن « ايزيس جبل البركل » (متحف برلين) وفى المعبد عثر على نصوص مروية مخربشات Graffiti ٠ وكذلك فى الأهرامات ٠ مع العلم أن المدينة القديمة نبته لم تكتشف بعد وهناك بعض التضارب بالنسبة لموقعها ، وكذلك بالنسبة« لصنم » المدينة الأثرية المجاورة ٠ فلم يكشف عن موقعها بعد ، مع العلم أن جبانتها واضحة المعالم ، وفيها معبد آمون الذى بناه الملك طهارقه وبداخله اضافات الملوك آخرين ٠

صلب : جرافيتى (مخربشات) باللغة المروية فى معبد الملك أمينوفيس الثالث ٠

كنوه : عثر على عدد كبير من المخربشات المروية فى منطقة المعابد ٠

صادنقه : موائد قرابين ولوحات مروية من الجبانة ٠

صاى : نصوص مروية على أحد أعمدة المعبد الذى بنى فى زمن الدولة الحديثة المصرية ٠

عمارة : معبد مروى ، والأعمدة اقيمت فى زمن الملك نتك ـ أمانى ، بالاضافة الى عدد من اللوحات المروية ٠

بوهين : عثر فى المعبد على عدد من الجرافيتى باللغة المروية ٠

وفى النوبة المصرية : عثر على لوحات وموائد قربان ومخربشات مروية : عنيبة ، بلانة ، قسطل وابوسنبل : موائد قربان وأوانى فخارية عليها نصوص بالمداد ومخربشات مختلفة ٠

وادى السبوع : عثر فى الجبانة على عدد من اللوحات وموائد القربان المروية ٠

مديك Medik : لوحات مروية من الجبانة ٠

دكـة : عند جبل أبو دروة Derwa عثر على نصوص مروية و غريقية٠ وعلى الصرح الخارجى لمدخل معبد دكة كتب ثلاثة ملوك مرويين اسماءهم ٠

كلابشة : على احد اعمدة معبد اله البلميين ـ مندوليس ـ دون اطول نص مروى معروف حتى الآن وهو يخص الملك خرمديه Khermedeye

فيـلاى : Philai : عـلى معبد ايزيس عـدد من النصوص المـروية والديموطيقية والاغريقية ، دونها الرسل الذين أوفدوا من قبل ملوك مروى لحضـور احتفـالات ايزيس السـنوية ـ ويمكن تقسيمها الى : (١) ابتهالات لايزيس (٢) أو اثبات وصول الرسول ، ويبدأ النص بالقرب من رسم القدمين بكلمة «قدمى فلان الذى وصل الى هنا » ٠

وفى المتاحف من :

شبلول وكرنوج : نصوص مروية على موائد قربان ولوحات نشرها جرفث Griffith ضمنها عدد ٢٣٠ مائدة قربان من كرنوج ، عـدد ٢٠ لوحة من شبلول وهى أكبر جبانة من هذا النوع ٠

فرص : ثانى جبانة من هذا النوع عثر فيها على عدد ٤٦ مائدة قربان وعلى عدد كبير من الأستراكا (الشقف) وعليها نصوص غير دينية ، وقد استخدموا الحبر الأبيض فى الكتـابة على تلك الأستراكا ٠

بوهين : أستراكا ٠

كرنوج : استراكا ٠

مروى : على معبد الشمس نصوص مكتوبة بالهيروغليفية المروية ـ ولوحة من معبد الأسد بالاضافة الى قواعد تماثيل (نقلت الى متحف أكسفورد Oxford) وخمسون مائدة من موائد القربان ضمنها واحدة هى نص مروى مكتوب بالحروف اليونانية . وهذه الجبانة لم يكشف الا عن عشر مساحتها فقط .

ومن منطقة مروى (حمداب) هناك لوحان للملك أكنداد لعلهما يصفان صراعه مع الرومان . ثم المسلة الجرانيتية الخاصة بالملكة مانى شيخيته Amanishakhete

البركل : لوحة للملك تنيد أمانى Tanyidamani فى متحف بوسطن عدا نصوص أخرى كثيرة موزعة على متاحف العالم . ومعظمها فى القاهرة والخرطوم ، واللوفر ، برلين ، هلدسهايم (بالمانيا الغربية) ، المتحف البريطانى ، موسكو .

النقعة : على معبد الأسد حفر اسما الملك نتك ـ أمانى والملكة أمانى تيرة بالهيروغليفية المصرية وبالمروية ، مما أتاح الفرصة للمقارنة ثم التوصل الى قراءة حروف الكتاب المروية الهيروغليفية .

وعلى معبد آخر بالنقعة دون اسم الملكة شنكداخيته Shanakdakhete بالهيروغليفية المروية . كما عثرت بعثة المانيا الشرقية فى أعمالها الاستكشافية المبدئية هناك على قطعة من اناء صغير من البازلت (رقم 11862 بمتحف الخرطوم) على حافته جزء من اسم الملك أمانى ـ خبالا Amanikhabale ، صاحب الهرم رقم ٢ بالبجراوية الشمالية Beg. N. 2 (٦٥ ـ ٤١ ق.م).

وادبانقا : اسما الملك نتك أمانى والملكة أمانى تيره على قاعدة كانت مخصصة لحمل القارب المقدس (برلين 7261) .

ويمكن تصنيف النصوص المروية حسب نوع الخط اى من الناحيـــة الباليوجرافية كالآتى : ـ

(أ) النصوص المروية الهيروغليفية وهى قليلة :

١ ـ اسما الملك نتك أمانى والملكة أمانى تيرة على معبد الأســـه بالنقعـــة

٢ ـ اسم الملكة شنكداخيته على معبد آمون بالنقعة ٠

٣ ـ اسما الملك نتك أمانى ، والملكة أمانى تيرة على قاعدة القارب الذى كان مخصصا لحمل تمثال الاله ، والذى عثر عليه لبسوس فى واد بانقـا ونقله الى برلين ، وكان منطلقا لفك رموز تلك الكتابة المروية (برلين رقم 7261)

٤ ـ تمثال الكبش رمز المعبود آمون ـ رع الذى نقل من « سوبا » الى حديقة الكاتدرائية الكاثوليكية بجوار القصر الجمهورى ثم نقل الى متحف الخرطوم وعلى قاعدته نص بالهيروغليفية المروية ضمنه جزء من اسم ملك داخل خرطوش يقرأ رقرم regerem ٠ ٠ ٠ يعتقد هنتزا انه صاحب الهرم رقم ٣٠ بجبانة البجراوية الشمالية ٠

٥ ـ نصوص على جدران معبد الشمس فى البجراوية ٠

٦ ـ قطعة من اناء قربان من البازلت (رقم ١١٨٦٢ بمتحف الخرطوم) على حافته جزء من اسم الملك أمانى ـ خبالا ٠

٧ ـ موائد القربان الملكية التى عثر عليها فى المقابر الملكية فى مروى وبعضها مكتوب بالخط المروى المصور (الهيروغليفى) ٠

(ب) النصوص المروية بالخط المبسط cursive وتشمل معظم النصوص المروية المعروفة وتنقسم طبقا لمحتواها الى :

١ ـ نصوص تاريخية : مثل لوح تانيد أمانى Tanyidamani وهو من أطول النصوص المروية المعروفة • محفوظ بمتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية •

● لوحان للملك اكنداد وربما كانا يرويان قصة الحرب مع الرومان •

● المسلة الجرانيتية التى كانت قائمة فى معبد آمون بمروى القديمة وهى خاصة بالملكة أمانى شخيته •

● نص طويل للملك (البليمى ؟) خرمدية Khermedeye على احد اعمدة معبد كلابشة •

٢ ـ نصوص دينية : مثل النصوص على تمثال ايزيس من جبل البركل•

● موائد القربان واللوحات الجنازية التى عثر عليها فى المقابر ، وعليها نداء لايزيس وأوزيريس لكى يقدما العيش الطازج والماء الزلال لروح المتوفى•

● المخربشات على جدران المعابد مثل الابتهالات الموجهة للمعبود أبدماك بالصورات ، والابتهالات الموجهة الى ايزيس على جدران معبدها فى فيلاى •

٣ ـ ماعدا ذلك : كالمخربشات التى تصور رسما أو تحديدا لقدمى شخص وصل الى بقعة ما ، ومن حولها نص يتحدث عن وصول صاحبه اليها ، وتسمى نصوص « غسل الأقدام »•

وقطع شقف من قدور ، عليها نصوص لها علاقة بمحتوى تلك القدور ، أو ما يشير الى مالكيها ، كما استعملت بعض قطع الشقف الكبيرة للكتابة عليها لمختلف الأغراض •

مميزات اللغة المروية :

ذكرنا فيما سبق أننا لا نعرف حتى الآن الى أى مجموعة من اللغات المعروفة يمكن أن نصنف اللغة المروية •

ولكن العلماء تمكنوا من التعرف على بعض صفات تلك اللغة :

مثال ذلك أن اللغة المروية استعملت أداة التعريف ، وذلك باضافة حرف اللام L في آخر الكلمة المفردة وبالاضافة (لب) leb ـ للجمع ·

ولم تعرف المروية الفرق بين الذكر والمؤنث ، فاذا ما أريد التعبير عن المؤنث ، تضاف كلمة امراة kdi للكلمة المراد تانيثها مثل Mk = اله Mk — kdi او Mkdi = أما صيغة الاضافة Genetiv فبزيادة حرف l لنهاية الكلمة مثل كاهن الاله Ant - mk - s - l · وتحتوى المروية على الحروف المتحركة منفصلة (بعكس المصرية) وهى : a e o i وكل حرف فيها يدل على صوت واحد (بعكس المصرية ـ التى كانت تحتوى أيضا على صور أو مقاطع لها أكثر من صوت) · واستعملت المروية النقط للفصل بين كل كلمة وأخرى : ، : وهى فى ذلك تشبه الكتابة الفارسية المسمارية القديمة ·

وحركة السكون يعبر عنها بالحرف e .

وتحتوى الكتابة على ٢٣ حرفا ، والهيروغليفية المروية تقرأ مع اتجاه الرسوم المصورة على عكس المصرية · ومثلها الأعلى الهيروغليفية والديموطيقية المصريتان ، وهناك بعض الحروف من ابتكار أصحاب الحضارة المروية :

	الحروف المروية		النطق		الحرف
	الخط الهيروغليفي	الخط المبسط	انجليزي	عربي	
1			a	ا	hamza
2			e	ـِ	kasra
3			o	ـُ	wàw al-mad
4			i	ـِ	yà' al-mad
5			y	ـيـ	yà' (consonant)
6			w	ـو	wàw (consonant)
7			b	ـبـ	bâ
8			p	ـپـ	(Persian ـپـ)
9			m	ـمـ	mìm
10			n	ـنـ	nùn
11			ñ	ـنـ	nasalized nûn
12			r	ـر	rà'

	الحروف المروية		النطق		الحرف
	الخط الهيروغليفي	الخط المبسط	انجليزى	عربى	
13		ϟ	l	ل	lām
14		ϰ	ḫ	ح	khā'
15		ϫ	ḫ	خ	khā' with shadda
16		ϻ	s	س	sīn
17		ϣ	š	ش	shīn
18		ϩ	k	ك	kāf
19		ϧ	q	ق	qāf
20		ϯ	ṯ	ت	tā'
21		ϯ	te	ة	tā' maksūra
22		ϭ	to	ـتـ	tā' mamdūda
23		ϩ	d	د	dāl

ثالثا : اللغة المروية لغة ملوك نبته

خلف لنا ملوك نبته كثيرا من آثارهم ودونوا عليها طرفا من أيامهم وعقائدهم . واستعملوا فى ذلك تلك الكتابة المصرية (الهيروغليفية) ولقد انكب فريق من المهتمين (١) بهذا الفرع من التخصص على دراسة النصوص التى تركها ملوك ذلك العصر . واتضح من دراستهم أن اللغة المصرية المستعملة فى ذلك العهد دخلها الكثير من التغيير .

لقد ذكرت فيما سبق امكانية اعتبار ملوك نبته ملوكا مرويين ، فالصلة الحضارية بين حضارتهم وحضارة مروى لا تحتاج الى دليل ؛ كما هو واضح من مقارنة المادة الأثرية فى كل منهما .

فوق ذلك يمكن القول أيضا أن أسماء ملوك نبتة ، وكذا أسماء أفراد عائلتهم نما هى أسماء مروية الأصل . ففى مكان آخر من هذا البحث أمكن اثبات أن النهاية « ــ قه » فى أسماء افراد الأسرة مروية الأصل .

وهـا يمكن اضافة الملاحظات الآتية :

١ ــ اسم الملك سنك ــ أمانسكن Senkamanisken (٦٤٣ ــ ٦٢٣ ق . م .) صاحب أكبر هرم فى نورى بعد هرم طهارقة يحتوى على اضافة لغوية ويمكن تفسيره بمساعدة قواعد اللغة المروية .

٢ ــ اسم الملك أمانى ــ نتك ــ لبتى Amaninatakilebte (٥٣٨ ــ ٥١٩ ق . م .) صاحب الهرم رقم ١٠ فى نورى يحتوى على نهاية الجمع المروية ــ لب ــ leb وحرف الجر te ــ بمعنى « فى » .

---

(١) Sauneron — Yoyotte, BIFAO 50, 1952 pp. 157-207.
La Campagne nubienne de Psammétique II et Sa Signification historique.

٣ ــ اسم الملكة Mekmle يتكون من مك Mk = اله ، وملى mle = طيب أو حسن ، كما يلاحظ ان لفظ ملى mle موجود أيضا فى اسم الملك مالويب امانى Mlewiebamani (٤٦٣ ــ ٤٣٥ ق . م .) صاحب الهرم رقم ١١ فى نورى وفى أسماء عديدة لأفراد هذه الأسرة .

٤ ــ وكلمة كوار أو كور Qor التى وردت فى تقرير الملك بسماتيك الثانى عن حربة النوبية ضد مملكة نبتة فى زمن الملك أسبلتا ، انما تدل على كلمة « الحاكم » ويقصد بها غريمه ملك نبته ، وهى نفسها كلمة قور = ملك فى اللغة المروية .

ومن ذلك يبدو واضحا أن اللغة المروية كانت هى لغة ملوك نبتة المحلية .

ومن الأدلة على صلة القرابة بين المرويين وبين سكان منطقة النوبة فى الدولة الحديثة هو ظهور اسم مروى لامراة من أيام الدولة الحديثة : وهذا الاسم « ملكاشتى » يمكن تفسيره بالمروية كالآتى : ملى = جميل أو طيب أو حسن ، وكلمة كاشـــتى = كوش + تى = « فى » فيكون لجميلة فى كوش » (١) .

وهنالك اسم ملكة من العصر المتأخر (؟) هى كاتيملى (٢) يحتوى على : كاتى أو كادى = امراة ، وملى = جميل الا أن هذا النص المعقد ، لا يمكن أن نجزم بأنه من العصر المتأخر . بل هناك احتمال انه يرجع الى زمن الحضارة المروية نفسها .

وقد حاول بوزنر من قبل أن يوجد صلة بين أسماء امراء النوبة فى أيام الدولة الوسطى والمسجلة على الدمى التى تمثل الأعداء وبين أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (٣) .

---

(١) Ranke, P.N.I.S. 163, Nr. 9.

(٢) Budge. The Egyptian Sudan II, p. 117; Grapow ZAeS, 76. S. 24 ff.

(٣) قارن ص ٥٤ من هذا الكتاب : Posener, Princes et Pays, p. 52.

وانى على ثقة من ان زيادة معرفتنا باللغة المروية سوف تثبت أن العديد من الأسماء غير المصرية لأفراد من كوش ذات أصل مروى . ومما سبق يمكن تأكيد صلة القرابة ، التى أمكن اثباتها من الناحية الأثرية ، بين كل من ملوك نبته وأصحاب الحضارة المروية من جانب ، وبين سكان النوبة وشمالى السودان زمن الدولة الحديثة من جانب آخر .